

# الفصلُ الثاني

## الأسس التربوية الإسلامية

### أو الأسس العملية في منهج التربية الإسلامية

• توطئة :

هذا - لعمري - أهم الفصول ٠٠ لأنه يقدم الاسس التي تقوم عليها عملية التربية ، وهى التى تفرق التربية الإسلامية عن غيرها من ألوان التربية الأخرى .

فلئن اعتمدت مناهج التربية الأخرى « التثقيف » والتكيف مع البيئة ، واعداد المواطن الصالح فإن منهجنا يعتمد أسسا أخرى مغايرة ، لتحقيق أهداف أخرى مغايرة ، مستمدا ذلك من مصادر أخرى مغايرة .

وأول ما يعتمد منهجنا هو تربية الفرد على « الاستجابة » لله والرسول .

وهو الذى عفته الآية الكريمة التى حددت مهمة الرسول ﷺ « يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ » (١) .

وثانى ما يعتمد هذا المنهج الكريم هو « التزكية » وبها ينفرد المنهج الإسلامى تفردا كاملا « ويزكيهم » .

---

(١) آل عمران : ١٦٤ ، الجمعة : ٢

والتزكية عملية لها جانبها السلبي الذى تقوم به ، وجانبها  
الايجابى الذى تقوم به كذلك .

وهى تزكية « مبرمجة » تبدأ بالعقيدة ، وتتنشئ بالأخلاق ،  
ثم تهتم بالتعبد .. وأخيرا تزكى بالمعاملات وما يليها من آداب  
وأحكام .

والقائم على التزكية عليه واجبات : الصبر ... وهو صبر  
عن ، وصبر على ..

وله جانبه السلبي ، وجانبه الايجابى ..  
ثم عليه الرعاية والدأب ..

ثم عليه الاعراض عما يلفت عن تنفيذ ذلك المنهج الكريم ..  
وذلك يجمعه قول الله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون  
ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » ، ولا تعد عينك عنهم تريد  
زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه  
وكان أمره فرطا » (٢) .

وثالث ما يعتمد منه المنهج هو « التعليم » .. وهو تعليم يخالف  
المناهج القائمة .

انه يقوم على تعليم الكتاب وعلى تعليم الحكمة « ويعلمهم  
الكتاب والحكمة » .

---

(٢) الكهف : ٢٨

## الأساس الأول : الاستجابة لله وللرسول

أن أول ما يعنى به منهج التربية الاسلامى ، هو تعويد الفرد المسلم الاستجابة لله وللرسول ، ذاك نجده من خلال نصوص كثيرة ثم من خلال سلوك رسول الله ﷺ وأصحابه فى هذا المضمار . فأمر الله سبحانه وتعالى لرسوله ، ومن بعده كل مسلم : «اقرأ باسم ربك الذى خلق» (٣) • يعنى التنفيذ • وقد التزم رسول الله ﷺ بذلك التنفيذ - والقصة معروفة •

وأمر الله سبحانه وتعالى لرسوله ، ومن بعده كل مسلم : «يا أيها المزمل • قم انليل الا قليلا» (٤) •

يعنى طلبا لا يبد من الاستجابة له ، وقد استجاب رسول الله ﷺ ، واستجاب من معه حتى خفف عنهم بعد ذلك «فاقرأوا ما تيسر منه •» (٥) •

وأمر الله سبحانه وتعالى لرسوله «يا أيها المدثر • قم فانذر •» (٦) • يعنى نفس الشيء ، وقد حدثت نفس الاستجابة • وقد تضمنها نص قرآنى أمرا الى المؤمنين ليدل ذلك على منهج التربية السليم «يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون» (٧) •

(٤) المزمل : ١ ، ٢

(٦) المدثر : ١ ، ٢

(٣) العلق : ١

(٥) المزمل : ٢٠

(٧) الأنفال : ٢٤

وقد جاءت صفة أولى من صفات الجماعة المسلمة التي أشارت إليها سورة الشورى : «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة» (٨) . وجاءت بلفظ التلاوة صفة أولى لمن يرجون تجارة لن تبور : « ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور » (٩) ٦

وجاءت صفة للذين أوتوا الكتاب : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونهم حق تالوته أولئك يؤمنون به » (١٠) . وفي سلوك رسول الله ﷺ وأصحابه . نزل القرآن منجها : « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » (١١) . « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ، ونزلناه تنزيلا » (١٢) .

وهو ما يعبر عنه بعض الصحابة « كنا نتعلم عشر آيات فلا نغادرها الى غيرها حتى نعمل بها » وهذا ما فهمه الفائقون من صحابة رسول الله ﷺ من قوله تعالى : « يتلونهم حق تالوته » (١٣) فقالوا : يعملون به حق العمل ، يحلون حلاله ويحرمون حرامه . وإلى هذه المهمة التربوية أشارت بدء الآية الكريمة « يتلونهم »

عليهم آياته » .

- (٩) فاطر : ٢٩  
(١١) الاسراء : ١٠٦  
(١٣) البقرة : ١٢١ .

- (٨) الشورى : ٣٨  
(١٠) البقرة : ١٢١  
(١٢) الفرقان : ٣٢

يبين أننا نعلم من سيرة رسول الله ﷺ ومن جميع النصوص  
أن هذا الأمر يلزم له عناصر ثلاثة :

• إخلاص - علم - عمل •

أما الإخلاص فحديثه طويل ، وأدلتها كثيرة :

• « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين خفاء » (١٤) •

• « قل الله أعبد مخلصا له ديني » (١٥) •

• « إنما الأعمال بالنيات .. » (١٦) •

• « إن الله لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا وابتغى به  
وجهه » (١٧) •

لكن الذى نريده فى هذا المجال هو تعليم هذا الإخلاص وتعويد  
هذا الإخلاص ، أما التعليم فأمره سهل إن شاء الله ، وأما التعويد  
فهو الصعب ، وهو الذى يحتاج الى التذكير دائما ، ويحتاج للقدوة  
يراهما الإنسان أمامه ، فى والد أو قريب أو مرب أو مرشد ، أو ولى  
أمر ، فإن افترق هؤلاء فرسول الله ﷺ من قبل ذلك ومن بعده هو القدوة  
والأسوة « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا  
الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .. » (١٨) • ومن بعد الرسول

(١٤) البينة : ٥ (١٥) الزمر : ١٤

(١٦) متفق عليه • (١٧) رواه أبو داود والنسائي •

(١٨) الأحزاب : ٢١

ﷺ القوة يقدمها الربى من خلال القصص والأمثال ... قصص  
الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .

وقصة الثلاثة الذين غلقت عليهم الصخرة . . فدعى كل  
بصالح عمله . . كان يقترن به ابتغاء وجه الله . فالذى ترك  
أولاده وزوجه ليحمل غبوق اللبن « أناء اللبن » على يده طوال الليل  
حتى طلع الفجر . . انما فعل ذلك ابتغاء وجه الله .

والذى ترك ابنة عمه وهى أشهى ما تكون لنفسه بعد أن مكنته  
من نفسها وجلس بين شعبها الأربع ( كما يروى الحديث ) انما  
فعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى .

والذى ثمر المال لصاحبه حتى جاء بعد غيبة طويلة فوجده  
مضاعفا أضاعفا كثيرة قصد بذلك وجه الله تعالى .

والناس هلكى الا العالمون ، والعالمون هلكى الا العاملون ،  
والعاملون هلكى الا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم ؟

**دأب العلم :** فهو لازم للعمل . . إذ ما يعمل من لا يعلم ؟

ولذا كان التساؤل القرآنى : « قل هل يستوى الذين يعلمون

والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الألباب » (١٩) . وكان منزلة

العالمين بعد الله والملائكة : « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة

وأولوا العلم ... » (٢٠) . وكانت أحاديث الرسول ﷺ فى هذا المعنى

كثيرة .

بيد أن العلم المطلوب هنا هو :

أولا : العلم بالقرآن « ينلوا عليهم آياته »

ثانيا : العلم بما يزيد الانسان ايمانا . . لأن الآيات تشمل آيات القرآن كما تشمل آيات الله في الأنفس وفي الآفاق : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (٢١) .

وأما العمل : وهو الغاية من تلاوة الآيات فلا بد أن يتقسم بالاخلاص وأن يفضى اليه العلم ، وأن يكون وفقا لما شرع الله عز وجل .

أما الاولى : فقد تقدمت .

وأما الثانية : ففيها أدلة كثيرة .

ففي القرآن : « لم تقولون ما لا تفعلون » . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (٢٢) .

وقد فسرت «لذو علم لما علمناه» (٢٢) : بـ « ذو عمل لما علمناه » .

وفي الحديث : « لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع » [ منها ] : « وعن علمه ماذا عمل به » (٢٤) .

وعن علي : « يا حاملة العلم اعملوا به ، فان العالم من علم ثم

عمل ، ووافق علمه عمله » .

(٢٢) الصف : ٢ ، ٣

(٢٤) رواه الترمذى

(٢١) فصلت : ٥٣

(٢٣) يوسف : ٦٨

وعن أبي بن كعب « تعلموا العلم واعملوا به ، ولا تتعلموه  
لتتجملوا به » .

وعن بعض العلماء « العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل »

**وأما الثالثة :** ففيها قول رسول الله ﷺ : « من عمل عملا ليس  
عليه أمرنا فهو رد » (٢٥) أى مردود وباطل ، وفي رواية متفق عليها :  
« من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وبهذه الثلاثة تتشكل الاستجابة : اخلاص ، وعلم ، وعمل .

بيد ان لنا أن نشير الى أن بدء الآية الكريمة بـ « **يُنْتَلُوا عَلَيْهِم**  
**آيَاتُنَا** » وبدء القرآن الكريم بـ « **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** » تعنى  
اهتماما خاصا بالقرآن ، وبالتربية على القرآن . قراءة . .

ترتيلا : « **ورتل القرآن ترتيلا** » (٢٦) وفق قواعد التجويد ،  
ليحس المربي، والمربي بحلاوة القرآن فضلا عن حلاوة الطاعة في تنفيذ  
أمر الله بالترتيل . . علما واخلاصا وعملا . .

وبذا تكتمل صورة الاستجابة كخطوة أولى في التربية الاسلامية،  
وننتقل الى الأساس الثاني بمشيئة الله تعالى .

\*\*\*

(٢٦) المزمّل : ٤

(٢٥) رواه مسلم .



## الأساس الثانى : التزكية

### • توطئة :

التزكية قلب عملية التربية ، وبها ينبض باذن الله تعالى قلب المسلم • مجالها النفس أو القلب (٢٧) •

« ونفس وما سواها • فآلهمها فجورها وتقواها • قد أفلح من زكّاها • وقد خاب من دساها » (٢٨) •

« ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » (٢٩) •

وهى وجهان : الوجه الأول : تخلية •

والوجه الثانى : تحلية • ولا مشاحة فى الاصطلاح •

وموارد التزكية أو موادها : عقيدة - وأخلاق - ونسك ( أو تعبد ) - ومعاملات •

---

(٢٧) يرى البعض أن النفس والقلب والعقل بمعنى واحد ويفرق البعض بين هذه الثلاثة وبين الروح ، ونحن نرى أن الأربعة معنويا مسمى لشيء واحد ، وأن ظهور جانب عملى من جوانب الغريزة أو العاطفة أو التفكير أو الأشواق هو الذى يغلب تسمية على الأخرى ، فالأسد له أسماء عديدة : هزبر ، ليث ، حيدر • وتغلب اسم على آخر يأتى تبعا للمناسبة والله أعلم •

(٢٨) الشمس : ٧ - ١٠ (٢٩) متفق عليه •

والقائم على التربية يلزم له صبر ... وصبر بنوعيه : صبر  
عن ... وصبر على ، وهو يصبر مع ...  
ورعاية ودأب .

واعراض عن كل ما يشغل عن هذه المهمة الجليلة .  
ذلك ما نبخته تفصيلا في هذا البحث ... والله المستعان .  
**أولا - مجال التزكية :**

قلنا انها النفس أو القلب ..  
وتلك نقطة البدء لقوله عليه الصلاة والسلام : « التقوى هاهنا »  
( ثلاث مرات ) ويشير الى صدره الشريف . وقول القرآن من قبله :  
« **نفس وما سواها . فآلهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها** »  
بيد أن لنا أن نشير الى أن دائرة التزكية أوسع . انها تشمل  
الانسان كله ، فكره ، وعاطفته ، وجسمه . ومن هنا كان التعبير  
القرآن « **ويزكّهم** » .

والتربية السلمية تتم على مرحلتين : مرحلة ازالة الانقاص .  
ثم مرحلة البناء ...

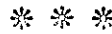
أو نأخذها من البعض : تخلية - ثم تحلية .  
أو نعبر عنها : بسلب - ثم بإيجاب .

وأيا كان التعبير فالمقصود مفهوم ، وهو أن تتم تخلية القلب  
من كل ما يناقض التربية السلمية ، ثم يجرى تفريغ ما يراد في  
هذا القلب وهو ما يسمى بالتخلية .

وهذا الذى نتول به هو مدلول الشهادة الكريمة : ولا اله الا الله  
فهى تحوى شقين : شق سلبي ينفي الألوهية عن - أو عما  
- سوى الله تعالى .

وشق ايجابي يثبت الألوهية لله رب العالمين .  
ولعلها كذلك مدلول قوله تعالى « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن  
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » (٣٠) .

وبالترجمة العملية لذلك نقول ان ما سوف نقدمه فى النقطة  
التالية لابد فيه من الأمرين : تخلية ثم تحلية .  
ولعل أحدث نظريات التربية ... لم تصل بعد الى ذلك ، والله  
تعالى أعلم .



### ثانيا - موارد التربية أو مواد التربية :

هى أولا عقيدة : وفى العقيدة يظهر جليا قيمة التقسيم السابق ،  
أنه لابد أن يخاو القلب أولا من سوى الله ، ثم لابد أن يمتلئ  
القلب ثانيا .. بالله . حبا ، وخوفا ، ورجاء ... وهو تحقيق  
« لا اله الا الله » ... وتحقيق : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن  
بالله » .

وبغير كبير خوض فيما تتضمنه العقيدة فى هذا المجال : نشير  
الى أن كثيرا من الناس لا يدرك - فى مجال التربية - ما ينبغى أن  
يربى عليه المسلم ، فيحشو أدمغة السامعين بالكثير من الأدلة ..

---

(٣٠) البقرة : ٢٥٦ .

من علم الكلام ، ومن غير علم الكلام ، ويركز على القضايا المنطقية وانفواحي الفلسفية ظنا أن هذا يزيد الناس إيمانا ، أو يملأ قلوبهم تسليما واقتناعا ، أو يضيف على نفوسهم طمأنينة وأمانا ...  
والحق غير ذلك .

ان الناس بحاجة الى « عمل القلب » لا الى علم القلب (٣١) .  
فالأخير قد يستوى فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر .  
أما الأول فانه يميز به المؤمن من الكافر والبر من الفاجر ، وهو الجانب العملى الذى ينبغى أن تقوم عليه التربية السليمة .

### ● فالعنصر الأول من عمل القلب هو الحب :

وينبغى أن يتحقق فيه الجانبان : جانب السلب ، وجانب الإيجاب .

فأما جانب السلب ، فهو أن يخلو القلب من حب غير الله حبا يصل الى حب الله ، والا وقع المؤمن فى الشرك والعياذ بالله :  
« ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله » (٣٢)  
وحب غير الله قد يكون شخصا أو مالا أو سكنا . وقد سمي الله سبحانه وتعالى ذلك كله « متاع الحياة الدنيا » وجعل فى مقابله

---

(٣١) راجع الايمان الحق للمؤلف - و « الايمان » لابن تيمية ،

و « العبودية » لابن تيمية .

(٣٢) البقرة : ١٦٥ .

للذين اتقوا ، فأحبوا الله وخافوه : «جنات تجري من تحتها الأنهار»  
وأزواجا مطهرة ، ورضوانا من الله . .

ذلك ما ذكره لنا رب العالمين في سورة « آل عمران » : « زين  
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من  
الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة  
الدنيا ، والله عنده حسن المآب » .

« قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، لآذين اتقوا عند ربهم جنات  
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من  
الله ، والله بصير بالعباد » (٣٣) .

وفي سورة التوبة : « قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم  
وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها  
ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله،  
فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » (٢٤)

وتخلية القلب من حب هذه الأشياء أو هذه الأشخاص ليس  
بالأمر السهل . وما طلبه الله هو التخفيف حتى لا يتساوى حبها  
مع حب الله ، وحتى يفضل حب الله عليها ، لأنه سبحانه وتعالى  
أعلم بمن خلق ، انه لا يمكن أن يخلو القلب تماما من هذه الأشياء ،  
أو الأشخاص ولكن ينبغي أن يخف ذلك الحب ، ليحل الحب الأكبر .  
حب الله سبحانه وتعالى .

وتخلية القلب على هذا النحو يكون بالمعادلة العاقلة والموازنة  
الراشدة وتفهم ما يترتب على تتساوى الخبين ، ومن ناحية أخرى  
يكون بتقييم هذه الأشياء وهذه الأشخاص .

إن الأشياء تافهة مهما كانت ، إذا قيست الى جوار نعيم الآخرة،  
جنات ، أزواج ، رضوان ، وإن الأشخاص كذلك تافهة زائلة اذا  
قيست الى جوار ما في الآخرة من نعيم مقيم .

### ● أما التحلية :

فتأتى بالمزيد من حب الله : «والذين آمنوا أشد حبا لله » (٣٥) .  
«لا يؤمن احدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله ومن الناس  
أجمعين » .

« ثلاث من كن فيه ذاق بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله  
ورسوله أحب اليه مما سواهما ..... » .

وهكذا تتواتر النصوص تواترا معنويا على ضرورة زيادة حب  
الله في القلب على حب غيره ليتحقق العنصر الأول من عمل القلب ،  
وتتم به التربية التسليمية .

وقد يتساءل البعض : وكيف السبيل الى مزيد من حب الله ؟  
ونجيب بعون الله : هي ، أولا : بتذكر نعم الله ، فالانسان  
مفطور على حب من يحسن اليه واحسان الله الينا يبدأ منذ نعومة

أظفارنا ، بل قبل ذلك ونحن أجنة في بطون أمهاتنا يأتينا فضل الله  
بغير حول منا ولا قوة ، ونحن في ظلمات ثلاث . . . . . فنتحول - بفضل  
الله ونعمته - من نطفة الى علقة ، الى مضغة ، الى عظام يكسوها  
لحم ، ويجعل لنا عيين ولسانا وشفتين ، ثم هو بعد ذلك يهديننا  
النجدين .

ومع نعومة الأظفار يتنزل الدم القاني لبنا أبيض سائغا دافئا  
بالشتاء وباردا بالصيف بقوة الله وحده ، ويتنزل معه الحنان  
غذاء للروح والنفس . وينشأ الطفل في أحضان أمه تقدمه على نفسها  
وتفتديه بكل غال وعزيز . . . . . والله سبحانه هو الذى يتولى هذا  
كله .

وتظل معنا نعم الله مع أطوارنا كلها . . . . . لكننا قد لا نتذكرها  
أو لا ندركها الا في حالين : حال افتتاحها ، أو حال الاضطراب :  
« أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ،  
أله مع الله » (٣٦) ؟؟

ومن هنا كان قول رسول الله ﷺ : « أحبوا الله لما يغذوكم به  
من النعم » (٣٧) .

● أما السبيل الثانى : فهو التفكير فى أسماء الله وصفاته :

ذاك أن الانسان كذلك منطور على حب كل أمثل . . . . . والله  
الأسماء الحسنى والصفات العليا . . فلم لا نحبه ؟

(٣٧) أخرجه الترمذى

(٣٦) النمل : ٦٢

إذا أحببت كريما فאלله أكرم ، وأن أحببت رحيما فאלله أرحم ،  
وإن أحببت كبيرا فאלله أكبر وأعظم .. وهكذا ، وهذا بعض سر  
أسمائه وصفاته .

بيد أنه ينبغي علينا أن ندرك ونحن نتفكر في أسماء الله  
وصفاته : أن الانسان وإن شارك في بعض الصفات « كالرحمة  
والكرم .. » فإن هناك صفات لا يشارك فيها « كالعظمة والكبرياء  
والجبروت... » فضلا عن أن ما يشارك فيه الانسان يشارك فيه  
بقدر مقهور ، لأنه لا يملك ولا يستطيع أن يصل الى سمو صفاته ولا  
الى عمقها وشمولها .

وإذا أخذنا مثلا : الرحمة .. فإن أكبر رحمة تضرب هي رحمة  
الأم بولدها .. ومع ذلك تتقف تلك الرحمة عاجزة إذا وقفت سدود  
أو عوائق عن أن توصلها الى ابنها ... كوجوده في سجن ظالم يمنع  
ويتجبر ! ، كذلك فإن هذه الرحمة تتقف قاصرة على الابن فلا تمتد  
الى غيره من أبناء الغير . أما رحمة الله فإنه يقول فيها : « ورحمتي  
وسعت كل شيء » (٣٨) .

---

(٣٨) وقد عمدت أن اضرب مثلا في بعض محاضراتي بشخص  
تواجد في سجن للظالمين منع عنه الطعام والشراب الا مائدر ، وتعرض  
للتعذيب الاليم القاسي أكثر اوقاته الا ما ندر ، ويوما ما عمد الى  
الصيام تقربا الى الله تعالى ، واستدرازا لعطفه ورحمته ، وقبل  
الافطار نودى عليه فاذا هو في ساحة التعذيب ينتظر دوره فيه .  
فلما آذنت الشمس بمغيب تقلب وجهه في السماء يسأل الله من =



كذلك يتأتى حب الله ويزداد من خلال ما يحسه الانسان من مشاركته الله فى بعض صفاته ، وعنصر المشاركة يولد الود والحب كما هو معلوم ومعروف - والله أعلم .

### • أما العنصر الثانى ، فهو الخوف :

وهو كذلك يتضمن الجانبين :

- جانب السلب •• بانتهاء الخوف من غير الله تعالى .
- وجانب الايجاب ••• بتحقيق الخوف من الله تعالى .
- ويجمعهما قول الله سبحانه وتعالى : « الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ » (٣٩) .
- « انما يخشى الله من عباده العلماء » (٤٠) .

« رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه » (٤١) .

= فضله ورحمته • وكان يجلس كغيره من المعذبين وجهه للحائط لا يتأفف يمينا أو يسارا ويقف على رأسه احد زبانية العذاب ، وفجأة سمع صوت أذان من مكان سحيق ولم ينتبه الأذان حتى امتدت اليه يد احد المعذبين يسأله هل انت صائم ؟ وما كان قد باح لأحد بهذا السر •• فقال نعم •• فاذا اليد الأخرى تمتد بطبق فيه طعام شهى لا يوجد فى السجن وفوقه ثمرة كبيرة حتى يفطر على السنة ••••• أرايت كيف تخطت رحمة الله السدود والقيود وجاءت من حيث لا يحتسب الانسان ؟ - والآية من سورة الأعراف : ١٥٦ .

(٤٠) فاطر : ٢٨

(٣٩) الأحزاب : ٣٩

(٤١) البينة : ٨

وقوله : « اتخشونهم ، فإله أحق أن تخشوه ان كنتم  
مؤمنين » (٤٢) •

« سيفكر من يخشى » (٤٣) •

« هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون » (٤٤) •

« ولمن خاف مقام ربه جنتان » (٤٥) •

• أما كيف تنفى الخوف من غير الله ؟

فانه بالتفكر والنظر الى عجزهم وضعفهم وعدم قدرتهم :  
« أبشركون ما لا يخلق شيئا وهو يخلقون • ولا يستغيثون لهم  
نصرا ولا أنفسهم ينصرون » (٤٦) •

« قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم  
آف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون » (٤٧) •

وفي الحديث : « لا أجمع على عبدى خوفين ، ولا أجمع له أمنين ،  
فان أمنى فى الدنيا أخفته يوم القيامة ، وان خافنى فى الدنيا أمنته  
يوم القيامة » ( رواه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى فى الشعب ) •  
وقالت عائشة رضى عنها : « الذين يؤتون ما آتوا وقتلهم  
وجلة أنهم الى ربهم راجعون » (٤٨) هو الرجل يسرق ويزنى ؟ قال :

(٤٢) التوبة : ١٣ (٤٣) الأعلى : ١٠

(٤٤) الأعراف : ١٥٤ • (٤٥) الرحمن : ٤٦

(٤٦) الأعراف : ١٩١ ، ١٩٢ (٤٧) الأنبياء : ٦٦ ، ٦٧

(٤٨) المؤمنون : ٦٠ بلفظ : « والذين »

« لا ، بل الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه ،  
( رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم ) .

« لا يلج النار عبد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن  
في الضرع » ( رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح والنسائى ) .

« سبعة يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل الا ظله [ منهم ] : رجل ذكر  
الله خاليا ففاضت عيناه » ( متفق عليه ) .

وكان ﷺ إذا دخل الصلاة سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل  
( رواه أبو داوود والترمذى والنسائى ) .

ويروى عن عمر رضى الله عنه : « لو نودى ليدخل النار كل  
الناس الا رجلا واحدا لرجوت أن أكون ذلك الرجل ، ولو نودى على  
الجنة ليدخلها كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت أن أكون ذلك  
الرجل » ( ج ١٣ ص ٢٠ ) .

وكان إذا سمع من القرآن آية وعيد خر مغشيا عليه أو مرض  
فيعاد في بيته شهرا ( ج ١٣ ص ٥٢ ، ٥٣ ) .

وكان في وجهه خطان أسودان من الدموع ( المرجع السابق ) .  
وقال مالك بن دينار : « بينما أطوف بالبيت اذا أنا بجويرية  
متعبة متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول : « يارب ، كم شهوة ذهبت  
لذاتها وبقيت تبعاتها » ٠٠ فصرخ وقال : ثكلت أمه » ( المرجع  
السابق ص ٥٤ ) .

## ● وأما كيف يوجد الخوف من الله ؟

فكذلك بالتفكير في أسمائه وصفاته التي من شأنها أن تورث هذا الخوف : السميع ، البصير ، الثقيير ، المنقّم ، الجبار ، القيوم .

ثم من التفكير فيما بعد الموت .. القبر وظلمته ووحشته ، الموقف ورهبته وشدة ، الحساب ورعبه ووجله ، النار : عذابها .. طعامها .. شرابها .. المكث فيها .. ومعها : « لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار » اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم ، ان الله سريع الحساب » (٤٩) ..

« انما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » (٥٠) .  
ويضيف إليها الغزالي سببا ثالثا هو تدبر القرآن ( ج ١٣ ص ٢٩ )  
وحكت مولا لعمر بن عبد العزيز أنها رأت الصراط فجاء بعبد الملك بن مروان فانكفا عليه ، ثم جاء بالوليد فانكفا عليه ، ثم بسليمان بن عبد الملك فانكفا عليه ، ثم جاء بك يا أمير المؤمنين ، فصاح عمر صيحة وقع مغشيا عليه فقامت وهي تنادى في أفنه : والله قد نجوت ، انى رأيتك والله قد نجوت . ( ج ١٣ ص ٥٨ ) .

---

(٤٩) غافر : ١٦ ، ١٧ .

(٥٠) وقد ذكرها الامام الغزالي في مقامين : الخوف من الله والخوف من عذابه ، والأول خوف العلماء ، والثانى خوف العامة ( الاحياء ج ١٣ ص ٢٧ ) .

ويقول الامام الغزالي : اننا اذا أردنا المال في الدنيا زرعنا  
 وغرسنا واتجرنا ، وركبنا البحار والبرارى وخاطرنا ، واذا أردنا  
 طلب العلم تفقهننا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد في طلب  
 أرزاقنا ولا نشق بضمان الله لها ، فاذا طمحت نفوسنا نحو الملك  
 الدائم المقيم قنعنا أن نقول ألسنتنا : اللهم اغفر لنا وارحمنا .  
 « وأن ليس للانسان الا ما سعى » (٥١) ، « ولا يغرنكم بالله  
 الغرور » (٥٢) ، « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم » (٥٣) .

وفي بحث قيم هل الخوف أفضل أم الرجاء ؟ انتهى الامام الغزالي  
 أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة ، وغلبة الخوف  
 قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات . ( احياء علوم الدين :  
 ج ١٣ ص ٢٣ ) .

ومع الخوف الرجاء . . وهو يتوازن مع الخوف . . أو يجعل  
 التوازن داخل النفس فتتردد بين الخوف والرجاء .  
 « يرجون رحمته ويخافون عذابه » (٥٤) .  
 « نبيء عبادى انى أنا اتغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب  
 الاليم » (٥٥) .

- 
- (٥١) النجم : ٣٩  
 (٥٢) الانفطار : ٦  
 (٥٤) الاسراء : ٥٧ بلفظ : « ويرجون ٦٠٠ »  
 (٥٥) الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .

« قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة

الله » (٥٦) .

« ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم

سرا وعالانية يرجون تجارة لن تبور » (٥٧) .

« واسوف يعطيك ربك فترضى » (٥٨) قيل فى تفسيرها: « لا يرضى

وواحد من أمته فى النار » (٥٩) .

« ويدعوننا رغبا ورهبا » (٦٠) .

« يدعون ربهم خوفا وطمعا » (٦١) .

وفى الحديث : « لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى »

« وأنا عند ظن عبدي بى » (٦٢) .

ودخل عليه الصلاة والسلام على رجل فى النزع فقال : كيف

تجسدك ؟ فقال : أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى ، فقال :

« ما اجتمعتا فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله ما رجا وامنه

مما يخاف » (٦٣) .

---

(٥٧) فاطر : ٢٩ .

(٥٦) الزمر : ٥٣ .

(٥٨) الضحى : ٥ .

(٥٩) احياء علوم الدين ج ١٢ ص ١٨١ .

(٦١) السجدة : ١٦ .

(٦٠) الانبياء : ٩٠ .

(٦٢) رواه البخارى ومسلم .

(٦٣) الترمذى والنسائى وابن ماجه وقال النووى اسناده جيد .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اذا سألتم الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى ، فان الله لا يتعاضمه شيء » (١٤) .  
 وقال عليه الصلاة والسلام : « لو علمتم ما أعلمه لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلوون صدوركم وتجأرون الى ربكم » (١٥) .

وقال : « اذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر الله يقول الله عز وجل للملائكة : انظروا الى عبدى أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ، ويأخذ بالذنوب ، أشهدكم أنى قد غفرت له » (١٦) .

وقال « لو لقينى عبدى بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقراب الأرض مغفرة » (١٧) .

وقال على رضى الله عنه لرجل أخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه : « يا هذا ، يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك » (١٨) .

ونعله رضى الله عنه يشير الى الآية الكريمة : « انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » (١٩) .

(٦٤) رواه مسلم .

(٦٥) أوله متفق عليه من حديث أنس الى « كثيرا » . وبقيته من رواية أحمد والحاكم ، تخريج الحافظ العراقي على هامش الاحياء ( ج ١٢ ص ١٧٨ ) .

(٦٦) متفق عليه . (٦٧) رواه مسلم .

(٦٨) الاحياء ج ١٢ ص ١٧٧ .

(٦٩) يوسف : ٨٧

وقال سفيان : «من أذنب ذنباً فعلم أن الله قدره عليه ورجا غفرانه،  
غفر الله له ذنبه . قال : لأن الله عز وجل عير قوما فقال :  
« **وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم** » (٧٠) .

وقال تعالى « **وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا** » (٧١) .  
وفى الرجاء كذلك تخلية ثم تحلية ، ليتحقق له الجانبان ،  
فيخلو قلبه من رجاء غير الله تعالى ، ويملأ قلبه برجاء الله تعالى ،  
وسبيله الى ذلك الاعتبار بنعم الله ، وفضله والنظر فى الآيات  
والآثار (٧٢) .

وتتحقق معه « **أياك نعبد وأياك نستعين** » (٧٣) فيقتصر الاستعانة  
على الله تعالى كما يقتصر الاستغاثة على الله تعالى .  
وتلك بعض عناصر عمل القلب . . . . . خب ، وخوف ، ورجاء . .  
به يتحرك القلب وتتحقق له التربية العملية فى مجال العقيدة .

أما أولئك الذين يقصرونها على التثقيف والحشو الذهني فانهم  
لا يمارسون تربية صحيحة ولا يتحقق بها ولا بهم ايمان صحيح

(٧٠) فصلت : ٢٣ .

(٧١) الاحياء ج ١٢ ص ١٧٧ - والآية من سورة الفتح : ١٢

(٧٢) الاحياء ج ١٢ ص ١٨٠ .

(٧٣) الفاتحة : ٥



ولا عقيدة سليمة وعلى هذا كان السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم (٧٤) •

والحديث عن دور « الأخلاق » في التزكية حديث يطول ...  
ذلك أن الكثيرين غفلوا عنها حتى استغنى عنها بعضهم وجاءت  
نظمهم خالية منها (٧٥) •

والذين اعتبروها من هؤلاء أستوها على أساس من المنفعة ،  
فان قامت منفعة كان بها والا فهم أغنياء عنها (٧٦) ومن ثم تجزأت

---

(٧٤) راجع « الايمان الحق » للدولف ، المراجع المشار اليها  
« الايمان » لابن تيمية « والعبودية » لابن تيمية ، «مدارج السالكين»  
لابن القيم ، « الاحياء » للإمام الغزالي •

(٧٥) في الغرب أسقطوا القاعدة الخلقية من نظامهم القانوني  
لأنه ليس جزاء (Sanction) وقبل ذلك أسقطوها من حياتهم  
حين بلغوا بالحرية حد الفوضى التي تعدت حدود الأخلاق ، راجع  
المشروعية العليا للمؤلف

(٧٦) تقوم الأخلاق في الغرب على المنفعة - راجع منهج القرآن  
في تربية المجتمع ، والمراجع المشار اليها ص ١٦٧ وما بعدها • ولقد  
اختلفوا في تعريف الأخلاق : فخلطوها بالشخصية حيناً ، وبالوجدان  
آناً وبالكفاء أحياناً •

فالأستاذ (Mc Doygell) يقول :

(Social Psychology well-developed character, is an  
integrated system of sentiments, a system. That is a hi-  
erarchy dominated a single master sentiment and in-  
tegrated by that dominece). =

الأخلاق ، فالانجليزى يعرف داخل بلاده الصدق والأمانة والالتقان .  
ولكنه خارج بلاده غير ذلك ، (٧٧) - ويأبى الله لأخلاقنا الا أن تكون  
غير ذلك . . .

- فهمى أولا جزء ، وجزء عزيز من شريعة الله تبارك وتعالى .
- وهى فى أهميتها تأتى صنو العقيدة وأثرا مباشرا لها .
- وهى تبلى أن تكون غاية رسالة رسول الله ﷺ .

وبها تميز رسول الله ﷺ « دعانا ربنا أن نفتدى به ، بل دعانا  
من قبلها أن نقبس ما استطعنا من صفاته » .

---

= ومعناه : الخلق القويم هو نظام تصاعدى متكامل من العواطف  
تسيطر عليه بهذه العواطف وتكامله نتيجة لتلك السيطرة فهو وجهة  
أخاصة فى الشخصية النامية تؤدى الى التماسك (consistency)  
العزيمة والصلابة (Firmness) ضبط النفس (self control)  
« التوجه » (Self Direction) ، أما (Bagly) فهو يرى أن الخلق  
عبارة عن كثير من العادات الصالحة النافعة ( راجع تفصيلا لذلك  
التربية وطرق التدريس - الأستاذ صالح عبد العزيز ج ٢  
ص ٢٣١ - ٢٣٩ وقد أشار فى نهاية عرضه الى الفاسفة للتأنيثية  
حول الغاية والوسيلة عند من يزعم أنهما شيئان منفصلان  
ومن هنا يظهر التضارب بينهما - ويظهر من يدعى أن الغاية تبرر  
الوسيلة أيا كانت درجة ( الأخوة ) من الاخلاق والفضائل .

(٧٧) ذلك ملحوظ لا يحتاج الى بيان ، راجع منهج القرآن فى  
تربية المجتمع ص ١٦٧ وما بعدها .

أما أنها جزء عزيز من شريعة الله تعالى . . فقد غلط الكثيرون  
اذ صرفوا الشريعة الى الأحكام وحدها ، مع أن الدعوة اليها كانت  
من قبل تنزل الأحكام « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها  
ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » (٧٨) .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والأذى أوحينه  
اليك . . . » (٧٩) .

« أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٧٩) .

**وغلطوا مرة ثانية :** اذ الشريعة مرادف للدين والملة . . والأخلاق  
جزء من الدين والملة . .

**وغلطوا مرة ثالثة . . .** اذ ساحة الأحكام في القرآن لا تغادر  
واحدا على ثلاثين بينما الأخلاق تزيد على ذلك .

ولناخذ لذلك بعض الأمثلة . . . ان آية البر في سورة البقرة  
اذ تعدد ألوان البر فتذكر ستة أنواع وتصفها في النهاية بالصدق  
والنقوى فان ثلاثة من هذه الستة هي صفات خلقية . والثلاثة  
الأخرى . . هي الايمان ، والصلاة ، والزكاة .

فاذا خلط هذا بذاك على أنه بر وصدق وتقوى فذلك يشعرنا بأن  
شريعة الله وحدة لا تتجزأ ، ويشعرنا معها بأهمية الأخلاق ووقوفها  
جنباً الى جنب مع الايمان والصلاة والزكاة بل انها تقدم صفة أخلاقية  
على الصلاة والزكاة وتتبعهما بصفيتين أخريين ، بل ان الآية تبدأ

(٧٩) الشورى : ١٣ .

(٧٨) الجاثية : ١٨

بقولها : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن  
البر ... »

وفي سورة الرعد صفات ثمانية : نصفها أخلاق ، والنصف  
الأخر نصفه صفتان عقديتان ، ونصفه الآخر صلاة وانفاق ، وإذا  
عددنا الصفة الأخيرة خلقية بإطلاقها وعدم اقتصرها على الصلاة  
ظفرنا بخمس صفات خلقية من بين ثمانية لأولى الأبواب .

ومن بين تسع صفات لعباد الرحمن ... تتقف صفات ست مع  
الأخلاق وثلاثة مع العقيدة ، والعبادة ! وإذا أضفنا النهي عن القتل  
والزنا باعتبار هذا الامتناع خلقا صارت ثمانية ! ولنسمع هذه  
الآيات :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر  
من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال  
على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين  
وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ،  
والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا  
وأولئك هم المنتقون » (٨٠) .

« أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ،  
أنما ينذكر أولوا الأبواب » . الذين يوفون بعهدهم الله ولا ينقضون

---

(٨٠) البقرة : ١٧٧

الميثاق • والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب • والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويذرون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار • جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب • سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار » (٨١) •

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما • والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما • والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما • انها ساءت مستقرا ومقاما • والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما • والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما • يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا • الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما • ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا • وآلذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما • والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا • والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما • أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما • خالدين

فيها ، حسنت مستقرا ومقاما • قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم ،  
فقد كنبتم فسوف يكون لزاما « (٨٢) » .

### • وأما أنها صنو العقيدة وأثر مباشر لها :

فقد تقدم من الأمثلة ما يدل على ذلك ، فالله سبحانه يضيف  
على الصفات الخلقية صفات البر والصدق والتقوى ويجعلها جنبا  
الى جنب مع الايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين  
- كما هو الحال في المثال الأول •

ويجعل كذلك صنو السجود والايمان والتوبة في المثال الثاني ،  
ويجعل هذه صفات فئة أسماها عبادا وشرفها فأضافها الى أشرف  
أسمائه الرحمن : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أيا ما تدعو  
فله الأسماء الحسنى » (٨٣) •

وبين هذه وتلك يجعلها صنو خشية الله وخوف حسابه ، ويجعل  
جزاء جنات عدن ويجعل تحية الملائكة بذكر صفة من صفات  
الأخلاق : الصبر : «سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار» (٨٤)

• ومن الحديث ما يؤكد ذلك ويجعلها أثرا مباشرا للايمان :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » •

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » •

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »

● وعلى العكس من ذلك ينفى الايمان مع انتفاء الخلق :  
« لا ايمان لمن لا أمانة لله ، ولا دين لمن لا عهد له » (٨٥) .

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » (٨٦) .

« والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن – قيل : من  
يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه » (٨٧) .

« ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وان صام وصلى وحج واعتمر  
وقال انى مسلم : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا اؤتمن  
خان » (٨٨) .

وقيل : يارسول الله ، ان فلانه تذكر من كثرة صلاتها وصيامها  
وصدقتها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها . قال : « هى فى النار »  
ثم قيل : يارسول الله ، فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وانها  
تتصدق بالاثوار من الأقط (أى بالقطع من الجبن) ولا تؤذى جيرانها .  
قال : « هى فى الجنة » (٨٩) .

---

(٨٥) رواه أحمد .

(٨٦) وفى المعنى : « اذا زنى العبد خرج الايمان فكان على رأسه  
فاذا أقتلع رجع اليه » - رواه أبو داود والترمذى وصححه الحاكم  
على شرط الشيخين .

(٨٨) رواه مسلم

(٨٧) رواه البخارى

(٨٩) رواه أحمد

وسأل الصحابة يوماً رسول الله ﷺ : أتدرون من المفلس ؟  
 قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : المفلس من أمتى  
 من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتي وقد شتم هذا ،  
 وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا . . . .  
 فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته  
 قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في  
 النار ، (٩٠) .

ترى ، هل تكفى هذه النصوص ؟ . . . أحسب ذلك والله أعلم .  
 • **وأما أنها تبلغ أن تكون غاية رسالة رسول الله ﷺ :**  
 فقد نص على ذلك رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم  
 الأخلاق » (٩١) .

وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ . . على مدى ثلاثة عشر عاماً في  
 مكة يربى المسلمين على الأخلاق إضافة إلى العقيدة ، بل وفعلها كذلك  
 في المدينة المنورة على مدى عشر سنوات أخرى يربيهم على الأخلاق  
 إضافة إلى العقيدة والعبادة والتشريع .  
 وإن اختلفت الأساليب في الحالين . . فالغاية واحدة . . مكارم  
 الأخلاق .

ويخطئ من يظن فترة المدينة . . بلا أخلاق . . انشغالا  
 بالتشريع . . عبادات ومعاملات ، وانشغالا بالحروب والسرايا



والفتوح ، لقد كانت الاخلاق تعمل مع هذا كله ، بل وقد كانت تعمل  
من خلال هذا كله .

والا فلنأخذ الأخيرة مثلا . . . الحروب .

حروب اليوم لا أخلاق فيها . . فيها الغدر ، وفيها المثلة ، وفيها  
الاجهاز على الضعيف ، والشيخ والمرأة . . . وحروب رسول الله ﷺ  
حروب أخلاقية هي كذلك من ناحية الغاية . . . فغايتها . . أن يكون  
الدين كله لله : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله  
لله » (٩٢) .

وهي كذلك من خلال الوسيلة : « اغدوا باسم الله . . لا تقتلوا  
شيخا ولا امرأة ولا طفلا ، .

وهي كذلك من خلال التوجيه . . فمرة ينتصرون فيعلمهم  
ويرببهم أن « وما النصر الا من عند الله » (٩٢) .

« وأذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن  
يتخطفكم الناس فاواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلمكم  
تشكرون » (٩٤) فيرد النصر الى الله ، ويعلمهم من خلال النصر أخلاق  
الشكر لله - ومرة يهزمون . . فيعلمهم ويرببهم من خلال الهزيمة :

---

(٩٢) الأنفال : ٣٩

(٩٣) آل عمران : ١٢٦ ، الأنفال : ١٠

(٩٤) الأنفال : ٢٦

« ويوم نحين اذ اعجبتمكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » (٩٥) .

« حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما اراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين » (٩٦) فيعلمهم ويرببهم على عدم الاغترار بالكثرة وعلى ان التنازع قرين الفشل ، وأن حب الدنيا يكون معه البلاء ، ويحنو عليهم رغم خطئهم فيقول : « ولقد عفا عنكم » .

أى تربية كريمة تلك التربية ؟ .

وهكذا ربى المسلمون على الأخلاق ، سلما وحربا ، صبرا وزحفا ، هزيمة ونصرا .

● واما أن بها تميز رسول الله ﷺ وبه اقتدى المسلمون :

نفى ذلك نص : « وانك لعلى خلق عظيم » (٩٧) .

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٩٨) .

وفى ذلك كانت تقول عائشة رضى الله عنها : « لقد كان خلقه القرآن » (٩٩) .

(٩٦) آل عمران : ١٥٢

(٩٨) الأحزاب : ٢١

(٩٥) التوبة : ٢٥

(٩٧) القلم : ٤

(٩٩) رواه البخاري

وتحكى مى ، وتحكى أمهات المؤمنين ، ويحكى الصحابة عن أخلاق رسول الله ﷺ الكثير : صدقه ، أمانته ، وفاؤه ، إخلاصه ، أدبه ، قوته ، حلمه وصفحه ، جوده وكرمه ، قصده وعفافه ، رأفته ورحمته ، علمه وعقله .

ويطول بنا الحديث .. لو عددنا .. فكل خلق القرآن خلقه . وهو فى هذا مثل أعلى .. يقترب منه المسلمون ، ويقتبسون منه قدر ما يستطيعون .

### ولناخذ بعض الأمثلة :

● أما صدقه . فقد عرف به من قبل البعثة حتى لقب بالأمين . أو بالصادق الوعد الأمين . وحتى أسلم له الكفار أمرهم لما اختلفوا حول وضع الحجر الأسود وارتضوا أول داخل . وكان الأمين هو أول الداخلين .

وحتى تخرجوا حين وقع بهم الأمر أن يتهموه كذبا .. وقالوا له : ما جربنا عليك كذبا .

وهاك بعض ما كان يواجه به أصحابه ، وهو من قبل ملتزم به :

« عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ، والبر يهدى إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق ، حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن

الفجور يهذى الى النار ، ولا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ، (١٠٠) .

ويصل في النهى عن الكذب حتى ينهى عنه في المزاح ، وفيما قد يظن أنه ليس مجالا للكذب :

« أنا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا ، (١٠١) .

« لا يؤمن العبد الايمان كله ، حتى يترك الكذب في المزاح والمراء ، وان كان صادقا ، (١٠٢) .

« من قال لصبي : تعال ، هاك .. ثم لم يعطه فهي كذبة » (١٠٣) .  
وأخيرا يقرر رسول الله ﷺ أنه يمكن أن يجتمع مع الايمان جبن وبخل ، لكن الايمان والكذب لا يجتمعان « سئل رسول الله ﷺ أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم . قيل له : أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال : نعم . قيل له : أيكون المؤمن كذابا ؟ قال ، لا » (١٠٤) .

ويجعله الوحي علامة الايمان وعلامة الرجولة ، وعلامة الجهاد :  
« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » (١٠٥) .

(١٠١) رواه البيهقي

(١٠٣) رواه أحمد

(١٠٥) الأحزاب ٢٣

(١٠٠) رواه البخاري

(١٠٢) رواه أحمد

(١٠٤) رواه مالك

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » (١٠٦) .

● أما أمانته : فهي قرينة صدقه ، ولذا سمي « بالصادق الوعد الأمين » .

وكان حقاً أمين الأرض يتنزل عليه بالوحي أمين السماء :  
« مطاع ثم أمين » (١٠٧) .

والأمانة في الاسلام أمانات .. ينبغي أن تحفظ والا عد منتهكها غادرا وخائناً وهي تبدأ من أدنى الأمانات التي يظنها الناس .. وتنتهي الى أعلى ما يظن الناس .

وتجاوز في منطق الوحي ذلك الذي يظن الناس .

— أما أدناها ... فهي أمانة المجالس .. ما يقوله الرجل لصاحبه ، وما يفضي به الرجل الى زوجه . انها أمانة .

اسمعوها من رسول الهدى يقولها ويتمثلها ويربى الناس عليها:  
« اذا حدث رجل رجلاً بحديث ثم التفت فهي أمانة » (١٠٨) .

« ان من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة : الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر سرها » (١٠٩) .

أما أعلاها في نظر الناس فهي الولاية .. يقول فيها رسول الله

(١٠٦) الحجرات ١٥ (١٠٧) التكوير : ٢١

(١٠٨) رواه أبو داود

(١٠٩) رواه أحمد وتغييرها أن من أعظم خيانة الأمانة .

ﷺ فيما يرويه أبو ذر : قلت يا رسول الله ، ألا تستعملنى ؟ قال :  
فصرب بيده على منكبيه ثم قال : « يا أبا ذر ، انك ضعيف وانها  
أمانة ، وانها يوم القيامة خزي وندامة ، الا من أخذها بحقها وأدى  
الذى عليه فيها » .

أما ما يجاوز ذلك في منطق الوحي : فهي الأمانة الكبرى .  
أمانة الدين : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا  
أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » (١١٠) .

« إِنْ أَنْتُمْ بِإِيمَانِكُمْ أَنْ تُولَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ  
النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » (١١١) .

« اَنَا عَرْضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ  
أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا  
جَهُولًا » (١١٢) .

وبين هذا وذاك أمانات تختلف عظمًا وصغرا عند الناس ، لكنه  
قد يكون عند الله عظيما : « وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ » (١١٣)  
ولذا كان من جزاء ضياع الأمانة .. انتظار الساعة .  
وكان من نتيجتها يوم القيامة أن يرفع كل غادر لواء غدره .

(١١١) النساء : ٥٨

(١١٠) الأنفال : ٢٧

(١١٢) الأحزاب : ٧٢

(١١٣) النور : ١٥ ، وتفصيلا للأمانات بحث شقيق لفضيلة  
الشيخ محمد الغزالي في كتابه القيم «خلق المسلم» .

وأن يأتي الرجل بما غل يوم القيامة يحمله .  
 يقول رسول الله ﷺ : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة »  
 فقال : وكيف اضاعها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر  
 الساعة » (١١٤) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « إذا جمع الله بين الأولين  
 والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يعرف به فيقال : هذه غدره  
 فلان . » (١١٥) .

وفي رواية : « لكل غادر لواء عند استه ، يرفع له بقدر غدرته ،  
 ألا ولا غادر أعظم من أمير عامة » (١١٦) .

أما الثالثة . . . فقولته تعالى « ومن يغال يأت بما غل يوم  
 القيامة ، ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » (١١٧) .

وفيه قوله عليه الصلاة والسلام تعقيبا على ما قاله أحد الولاة  
 « ابن اللببية » استعمله رسول الله ﷺ على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم  
 وهذا أهدي إلى ، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :  
 « أما بعد ، فأنى أستمعل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله  
 فياتى فيقول : هذا لكم ، وهذا هدية أهديت إلى ، أفلا جلس في بيت  
 أبيه وأمه حتى تأتية هديته ان كان صادقا !! والله لا يأخذ أحد منكم  
 شيئا بغير حقه الا لقي الله يحمله يوم القيامة . فلا أعرفن أحدا  
 منكم لقي الله يحمل بغيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة

(١١٥) رواه البخارى  
 (١١٧) آل عمران : ١٦١

(١١٤) رواه البخارى  
 (١١٦) رواه مسلم .

تيعر » • تم رفع يديه حتى روى بياض ابصيه يمين . « اسيم س  
بلغت » (١١٨) •

وقوله عليه الصلاة والسلام : « من استعملناه على عمل فرزقناه  
رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول » (١١٩) •

• أما حلمه وصفحه : فيكفيه مثلاً في حلمه ذلك الأعزابي الذي  
جاءه يمسك بتلابيبه حتى حز الثياب في عنق رسول الله ﷺ وقارب  
أن يختنق وهو يقول له : « أعطني من مال الله لا من مالك ولا من  
مال أبيك » •

فهم عمر يريد أن يضرب الرجل بسيفه •  
ولو فعل لما كان عليه - في ظني - من سبيل •  
لكن رسول الله ﷺ قال التوجيه النبوي الكريم : « كان عليك  
أن تأمره بحسن الطلب وأن تأمرني بحسن الأداء » •  
وأما صفحه فيكفي فيه ما قاله رسول الله ﷺ في شأن أعدائه  
بل ألد أعدائه الذين أخرجوه من داره وعذبوا أصحابه • يوم  
مكن منهم : « اذمبوا فانتقم الطلقاء » •  
أما بقية الأخلاق فتفصيلها يطول (١٢٠) •

\*\*\*

(١١٨) رواه مسلم • (١١٩) رواه أبو داود •  
(١٢٠) راجع الكتاب القيم « خلق المسلم » - لفصيلة الشيخ  
محمد الغزالي ولم يعدم الغرب من أشار إلى أهمية الأخلاق - فهذا  
أحد فلاسفته « هربارت » يقول : إن التعليم يكون دائرة الأفكار ،  
وإن التربية تكون الأخلاق ، ولا قيمة للثانية بدون الأولى •



تواضع العلماء على اطلاق « العبادات » على مجال محدود في مقابل « العاديات » أو « المعاملات » ولا مشاحة في الاصطلاح .

لكن ان أدى الاطلاق الى سوء فهم الشريعة فالمشاحة واردة .  
ولذا - فانا وان كنا قد سلمنا بالاصطلاح الا أننا نفضل مكانه «النسك» أو الشعائر حتى لا يلتبس على الناس دينهم ، أو لا يلتبس الحق بالباطل . فيظن البعض أنهم يحققون العبادة ، وهم يكتفون بهذه الشعائر وحدها - دون بقية الاسلام ولئن قال الرسول ﷺ في شأن الصلاة : « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » . فان العمود لا يغنى عن بقية الاسلام وان لم يقيم الاسلام الا به . ومن هنا كانت صيحة أبى بكر الصديق : « والله لا أفرق بين صلاة وزكاة ، والله لو منعوني عقال بغير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لحاربتهم عليه » (١٢١) .

وكان اتفاق العلماء على حرب كل من منع شريعة من شرائع الله (١٢٢) . تلك كانت تقدمة للحديث عن العبادات .

نقول بعدها بعون الله تعالى :

اننا لن نتكلم عن العبادات ذاتها « من طهور ، ووضوء ، وصلاة ،

---

(١٢١) كتب السيرة . وهو مشهور .

(١٢٢) ابن تيمية رضى الله عنه . الفتاوى - « العبودية » .

وصوم ، وزكاة ، وحج ، وذكر ودعاء » ٠٠ لكننا نذكر بعض آثارها  
في مجال التزكية ٠٠ والله المستعان .

١ - فالعبادات عامة : يتجلى فيها التزكية بَدَل معانيها أكثر  
من غيرها . هي تطهير من الأوزار . والذنوب والأضرار .  
هي تنمية ٠٠٠ للصلة بالله سبحانه وتعالى يزيد بها الإيمان ٠٠  
« اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » (١٢٣) .

هي تسام ٠٠٠ وارتفاع يرتفع بها المسلم عن الطين ليقرب  
من عالم الروح . لتسبح روحه في ذلك الأفق السامق ٠٠٠ حتى  
تتصل بالملائكة أو تكون خيرا منها .

وفي حديث حنظلة رضى الله عنه ما يشير الى ذلك التسامى  
الغريب الذى يمكن أن يتكرر مع كل عبادة تتحقق فيها أركانها  
وشروطها .

٢ - ان للعبادات ركنين أساسيين : أولهما الاخلاص : يحكمه  
قول رسول الله ﷺ « انما الأعمال بالنيات » (١٢٤) والآيات والأحاديث  
في المعنى كثيرة .

ثانيهما : أداء العمل على النحو الذى أمر به الله ورسوله يحكمه

قول رسول الله ﷺ : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » (١٢٥) .  
أى مردود عليه وباطل .

وإذا أمكن في أعمال أخرى التهاون أو الاختلاف في شيء من ذلك  
فإن ذلك غير وارد بالنسبة للتعبيد .

٣ - في الصلاة : طهر واغتسل ، لقول رسول الله ﷺ : « لو أن  
بباب أحدكم نهرا يغتسل به كل يوم خمس مرات أبقى عليه شيء  
من الدرن » (١٢٦) .

« أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (١٢٧) .

وفي الصلاة صلة بالله تعالى تنمو وتزيد مع الاقبال والاخلاص  
والاخبات « ان بيوتى فى الأرض المساجد ، وان زوارى فيها عمارها ،  
فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى ، فحق على المزور أن  
يكرم زائره » .

« قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، فإذا قال العبد :  
« الحمد لله رب العالمين » قال الله : حمدنى عبدى ، وإذا قال :  
« الرحمن الرحيم » قال الله : أثنى على عبدى . وإذا قال العبد :  
« مالك يوم الدين » ، قال : مجدنى عبدى ، وإذا قال : « اياك نعبد »

(١٢٥) رواه مسلم .

(١٢٦) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى

(١٢٧) العنكبوت : ٤٥ .

واياك نستعين» ، قال هذا بينى وبين عبدى ، فاذا قال : « اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ، قال : هذا لعبدى ، ولعبدى ما سأل » (١٢٨)

والصلاة بعد ذلك علاج للهلع الذى يجعل الانسان جزوعا من الشر مناعا للخير : « ان الانسان خلق هلوعا • اذا مسه الشر جزوعا • واذا مسه الخير منوعا • الا المصلين » (١٢٩) •

وكان الرسول ﷺ اذا حزبه أمر، نهض الى الصلاة • وهى بعد ذلك الملجأ للمحتاج والراحة للمضطرب والواحة وسط صحراء الحياة • « واستعينوا بالصبر والصلاة » (١٣٠) • « أرحنا بها يا بلال » •

• وجعلت قرة عينى فى الصلاة ، (١٣١) •

٤ - وفى الزكاة : طهر للنفس من الشح ، وما أشده من مرض على النفس « وأحضرت الأنفس الشح » (١٣٢) •

---

(١٢٨) رواه ابو نعيم فى الحلية •

(١٢٩) المعارج : ١٩ - ٢٢ (١٣٠) البقرة : ٤٥

(١٣١) رواه أحمد والنسائى والبيهقى فى السنن الكبرى عن أنس

رضى الله عنه •

(١٣٢) النساء : ١٢٨

« من صلاتهم صدقة تظهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم ،  
ان صلاتك سكن لهم » (١٣٣) .

وفيهما نماء للخير في النفوس ونماء للمال في الجيوب ، فالنفوس  
التي تعتاد البذل تعتاد الخير وينمو فيها ، والمال الذي يبذل لا ينقص  
به المال بل يزيد : « لا ينقص مال من صدقة » .

وفيهما تكافل بين طبقات المجتمع تزيل ما قد يظهر بدونها من  
أحتاد ، وتبطل دعاوى الجاهلين والمبطلين بصراع المجتمعات .  
وفي انفاقها على مصارفها تنظيم اقتصادى جميل وعجيب  
لا تقتنع له هذه السطور (١٣٤) .

٥ - وفي الصوم والحج ٠٠٠ والدعاء والذكر : ثم في سائر  
النوافل من الخير الكثير ٠٠٠ ويكفى ذلك الحديث الجامع : « ما تقرب  
الى عبدى بشئ أحب الى مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى  
يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى  
يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله  
التي يمشى بها ، وان سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيننه » (١٣٥)

---

(١٣٣) التوبة : ١٠٣ .

(١٣٤) راجع « دعاة لا حياة » للمؤلف .

(١٣٥) رواه البخارى .

بيد أننا نشير الى نافلتين لهما في مجال « التزكية العملية »  
أبعد الأثر :

أما الأولى : فقيام الليل - وفيه نقول بعون الله تعالى : ان  
عليه كان تربية الجماعة الأولى .

« يا أيها المزمل • قم الليل الا قليلا • نصفه أو انتقص منه  
قليلا • أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا • انا سنلقي عليك قولا ثقيلا •  
ان ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا » (١٣٦) •

وأن رسول الله ﷺ ما تركه في سفر ولا في حضر •  
وأن النصوص تواترت على فضله : « وبالأستحار هم  
يستغفرون » (١٣٧) •

• تتجافى جنوبهم عن المضاجع » (١٣٨)

• ومن الليل فتهجد به نافلة لك » (١٣٩)

ومن الأحاديث النبوية : « عش ماشئت فانك ميت ، وأحبب  
من شئت فانك مفارقه ، واعمل ما شئت فانك مجزى به ، واعلم أن  
شرف المؤمن قيامه الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » •  
• « وأن تصلي والناس نيام » •

---

• (١٣٧) الذاريات : ١٨

• (١٣٦) المزمل : ١ - ٥

• (١٣٩) الاسراء : ٧٩

• (١٣٨) السجدة : ١٦

ان الممارسة العملية لهذه السنة الكريمة أثبتت - في العصر الحاضر - فائدتها الجليلة وأثرها العميق في صفاء النفوس وفي جلاء القلوب .

أما الثانية - فصيام التطوع : وهو يتحقق فيه ما يتحقق من آثار الصيام عموماً ، وفي مقدمتها أن يورث التقوى \* والتقوى مرحلة من مراحل التزكية متقدمة .

والتطوع يؤدي معنى آخر . هو اقبال النفس . . اقبالا يطوعها لما فوق ذلك . ومع هذا وذاك . . دعاء تنفضه النفس بالأسحار أو في الثلث الأخير من الليل حيث يتنزل الرب سبحانه وتعالى الى السماء الدنيا . . . حسبما جاء في الحديث : « ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يتدأني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له » (١٤٠) هذا الدعاء يريح النفس ويزيح عنها همومها وآلامها ، فضلاً عن أنه يحقق العبودية في جانب العبد ، والربوبية في جانب الرب سبحانه وتعالى : « أنه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ، أأله مع الله » ؟ (١٤١) .

« وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » (١٤٢) .

(١٤١) النمل : ٦٢

(١٤٠) متفق عليه .

(١٤٢) غافر : ٦٠

وقد صح في الأثر « الدعاء منح العيادة » .

ومع الدعاء ذكر . . . يترطب به اللسان ويطمئن به القلب

« ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (١٤٣) . وأعلى الذكر كتاب الله سبحانه

- يقرؤه المسلم ويرتله ، ويتفهم معانيه ، ويتدبر آياته ومعه في

كل حالة ذكر . . . ذكر بالقلب ، وذكر باللسان ، وتأمل بالجنان ،

وتفكر في خلق السموات والأرض : « ربنا ما خلقت هذا باطلا

سبحانك فقنا عذاب النار » (١٤٤) .

كلمة أخيرة . .

نحن نقدر لبعض الدعاة جهدهم في مجال التربية والتزكية ،

ونقدر لهم اهتمامهم بجانب التعبد ، وقد صح فيه الكثير من الآثار ،

بل إن أركان الاسلام الخمسة أربعة منها خاصة بالتعبد « الزكاة ،

الصلاة ، الصيام ، الحج » وما يدور حولها من شعائر ، بيد أننا نعيب

عليهم اقتصرارهم على هذا الجانب ، لأن الاقتصار على جانب يؤدي

إلى أضرار كثيرة :

**أولها :** سوء فهم الاسلام كنظام شامل تناول الدنيا والآخرة ،

والعبادة والمعاملة ، والحكم والاقتصاد ، والاجتماع .

(١٤٣) الرعد : ٢٨

(١٤٤) راجع في الأفكار المختلفة كتب الأفكار في الصحاح ،

ورسالة الماثورات للإمام حسن البنا - الآية من سورة آل عمران :

١٩١ .



**ثانيها :** تضخم جانب يكون على حساب جانب آخر .  
وإذا كانت الحياة كلها محراب عبادة . فان الاختصار على جانب التعبد يفقد بقية جوانب الاسلام فيكون مثله كمثل من يتعبد بصلاة الصبح دون صلاة الظهر أو العصر أو المغرب « فويل للمصلين » الذين هم عن صلاتهم ساهون » (١٤٥) .

**ثالثها :** الغفلة عن غير جانب التعبد يخضعه غفلة أو عنوة لغير أحكام الله . . ومن ثم نرى الأحكام الوضعية في جوانب الحياة تحكمها وتخضعها وتعبد فيها الناس لغير الله رب العالمين .  
ترى هل ننتبه الى أن الاسلام منهج شامل ، وأن التربية الاسلامية بدورها منهاج شامل كذلك ؟ .

\*\*\*

#### **رابعاً - التزكية بالمعاملات :**

المعاملات قيم العبادات : فهي في التقسيم الفقهي مقابلة لها .  
وهو ما قد يوحى بأن جانب التزكية هو فيما يتعلق بالتعبد من صلاة وصوم وقيام وحج ، أما ما يتعلق بالمعاملات فهو طليق من القيود بعيد عن مجال التزكية . وهو خطأ يوحى به هذا التقسيم من بين ما يوحى . وسوف يتبين لنا عمق الخطأ عما قريب باذن الله تعالى .

---

(١٤٥) الماعون : ٤ ، ٥

كذلك فقد لا يقدر البعض شاحة المعاملات في الاسلام وأهميتها .  
انها تمتد لتشمل كل ما يسمى بلغة البعض «فروع القانون العام»  
و« فروع القانون الخاص » والأول هو الذى تكون الدولة طرفا فيه  
باعتبارها صاحبة سلطان وسيادة ، والثانى هو ما لا تكون الدولة  
طرفا فيه بهذه الصفة ، ويغلب أن يكون علاقات بين الأفراد ، وإذا  
وجدت الدولة طرفا فيه فليس باعتبارها صاحبة سلطان وسيادة .

وفروع القانون العام تشمل القانون الدولى العام ( الذى ينظم  
العلاقات بين الدول ) ، القانون الدستورى ( الذى ينظم شكل الدولة  
وسلطاتها وحقوق الحاكم والمحكوم ) ، القانون المالى ( الذى ينظم  
الايرادات ، والمصروفات ، وأمور الميزانية ، وما يتعلق بهذا كله ) ،  
القانون الجنائى ( الذى ينظم الجرائم ويحددها ويضع لها العقوبات ) ،  
القانون الادارى ( الذى ينظم الادارات والمؤسسات والمرافق العامة  
وما يتعلق بهذا كله ) ٠٠ الخ .

أما فروع القانون الخاص : فتشمل القانون المدنى ( الذى ينظم  
العقود من بيع وشراء وإيجار ، وينظم التصرفات المنفردة كالهبة  
والوصية ٠٠ الخ ) ، والقانون التجارى ( وهو ينظم ذات العلاقات  
بين التجار ) ، والقانون البحرى ( ما يتعلق بشئون البحر ومايجرى  
فيه ) ، وقانون المرافعات ( ويتضمن اجراءات الدعوى والمدعى  
والمدعى عليه ٠٠ الخ ٠٠ ) وهكذا ٠٠

والمعاملات في الاسلام تشمل نطاق القانون العام والقانون

الخاص ، وقد تزيد على ذلك لأنها تشمل النظام الاقتصادى .  
أو النظام الاجتماعى ، وفيها ما لا يدخل تحت تلك الفروع ، وذلك  
فضلا عن شمولها النظام السياسى الذى قد يدخل القانون الدستورى  
والدولى تحت نطاقه .

والعاملات بهذه المثابة تكاد تشمل حياة الفرد ، وحياة الأسرة،  
وحياة المجتمع . وهى وثيقة الصلة بالعقيدة والأخلاق لربط النصوص  
ليها بها - وهى فى الوقت نفسه مجال كبير للتزكية ، بل ان التزكية  
مع ترك نطاقها تكون محدودة وتكون مبتورة ، وهكذا يشيد بناء  
التزكية بعضه بعضا .

وسوف نورد مثالين من سورتين يبين منهما ارتباط المعاملات  
بالأخلاق والعقيدة ، ثم نبين فيهما كذلك مجال التزكية الكبير من  
خلال أحكام المعاملات .

وقبل ذلك نشير الى أن التزكية تقم على النحو التالى :

### ( أ ) تعلم وتعود الحلال والحرام :

ففى مجال المعاملات نصوص توضح الحلال ، وأخرى توضح  
الحرام ، والوقوف عند محارم الله ، ومن ثم كانت التزكية من خلال  
تعلم أحكام الحلال والحرام ثم تعودها حتى لا يتعداها .  
فاذا أخذنا البيع والشراء : ففيه أحكام تحرم الربا .  
وفيه أحكام تكره بيع الرجل على أخيه .

وفيه أحكام تجعل الخيار للعاقدين ما لم يتفرقا « خيار المجلس » (١٤٦) .

وفيه غير ذلك . والوقوف عند تلك الاحكام وقوف عند حدود الحلال والحرام .

بيد أننا نود أن نشير الى أنه في مجال المعاملات يرجح لدينا أن الأصل هو الاباحة ، بينما في مجال الأبخاع الأصل هو الحظر « والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم فانهم غير ملومين » (١٤٧) .

#### ( ب ) البعد عن المشتبهات بلوغا الى التقوى :

ذلك أن ثمة دائرة بين الحلال والحرام قد يشتبه على الناس فيها ، فالذى يود أن يبلغ حد التقوى ينبغي أن يتقى الوقوع في الشبهات لقوله عليه الصلاة والسلام : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ألا وإن حمى الله محارمه » .

ولسلوك الصحابة رضوان الله عليهم طريق « ترك ما لا بأس به مخافة أن يكون به بأس » .

---

(١٤٦) ورد في الحديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .

(١٤٧) المؤمنون : ٥ ، ٦

### (ج) التزام الأحكام العملية تعبدا :

ولئن قسم الفقهاء الحقوق الى حقوق لله وحقوق للعباد ، وجعلوا من الأخيرة أحكام المعاملات ، بحيث قد يظن العامي أن ليس لله فيها حق . وقد فطن الى هذا أحد العلماء ( الامام الشاطبي رحمه الله ) فقال : انه ما من حق للعبد الا والله فيه حق .

وقسم الحقوق ثلاثة :

حق لله خالص .

حق للعبد غالب ، ولله فيه حق .

حق للعبد ولله فيه حق .

ومن ثم فانه وفقا لهذا التقسيم لا يخلو حق من حق لله . وهو أمر يثير في النفس التزكية ، ومن ثم يحرص المسلم على الوفاء بحق الله مع كل حق للعباد ، ويرقب الله بذلك في كل تصرفاته ( المعنية والتجارية ) العامة ، والخاصة .

### • نموذجان :

الأول : سورة الحجرات :

تضمنت أحكاما عديدة أكثرها أحكام اجتماعية ، وهي سورة مدنية تضمنت ثمانية عشر آية ، وتضمنت الآيات حوالى اثنا عشر حكما ، ومع ذلك تخللتها آيات التزكية بالتقوى . وبوجود رسول الله ﷺ بينهم ، ومن الله عليهم بالايمان وحببه للمقسطين . والأمر بالتقوى للعرض لرحمة الله ، والتخويف من الفسوق بعد الايمان ،

والتخويف من أكل اللحم الميت بما يقترب من الغيبة وهكذا ...  
ويختتم السورة بـ « ان الله يعلم غيب السموات والأرض ، والله بصير  
بما تعملون » (١٤٨) مما يوقظ في النفس المراقبة لله عالم الغيب البصير  
بكل ما نعمل .

### الثانى : سورة الطلاق ( النساء الصغرى ) :

وهى اثنى عشر آية - تضمنت حول عشرة أحكام وتضمنت  
معه تزكية وتذكيرا .

مع أول آية : أمر بالتقوى وتذكير بأنها حدود الله وتأکید على  
أن من يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه ، ثم احياء بأنه لا تدرى  
أهل الله يحدث بعد ذلك أمرا ، كل ذلك يأتى فى آية واحدة ومع أمرين  
اثنين ، أن يكون الطلاق للعدة ، وأن لا يخرج من بيوتهن .

وفى الآية الثانية أمر بالامساك بالمعروف أو بالمفارقة بالمعروف  
ومعها أمر بالشهادة ومعهما تذكير يرقى النفس ويزكيها :  
« فلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر » (١٤٩) .

ثم تعقيب « ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث  
لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (١٥٠) .  
ومعها « ان الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدرا » (١٥١) .

(١٤٩) الطلاق : ٢

(١٤٨) الحجرات : ٢٨

(١٥١) الطلاق : ٣

(١٥٠) الطلاق : ٢ ، ٣

ويتكرر التذكير بالتقوى وعاقبتها في الآيات التالية وبصورة أخرى جميلة :

« ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » (١٥٢) •

« ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا » (١٥٣) •

ثم يأتي تذكير آخر : « سيجعل الله بعد عسر يسرا » (١٥٤) •

ومعه أو بعده تهديد شديد : « وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا • فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا • أعد الله لهم عذابا شديدا ، فاتقوا الله يا أولى الأبواب الذين آمنوا، قد أنزل الله إليكم ذكرا» (١٥٥)

ثم يختتم السورة بما هو أقرب الى التهديد :  
« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما لنعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد احاط بكل شيء علما » (١٥٦) •

ومكذا والنماذج كثيرة • والله تعالى أعلم •

\*\*\*

(١٥٣) الطلاق : ٥

(١٥٥) الطلاق : ٨ - ١٠

(١٥٢) الطلاق : ٤

(١٥٤) الطلاق : ٧

(١٥٦) الطلاق : ١٢

## الأساس الثالث : تعلم الكتاب والحكمة

### ● مقدمة :

لا نزال نتحدث في الأسس العملية للتربية الإسلامية .  
فكرنا الاستجابة وكيف أنها تعلم وتعود ، وهي التي تشكل  
الركيزة الأولى للتربية الإسلامية وذكرنا التزكية وعرفنا أنها تخلية  
ثم تحلية بالعقيدة والاخلاق والتعبد والمعاملة وهي تشكل عمود  
التربية الإسلامية .

والآن نختتم بتعلم الكتاب والحكمة :

وأول ما يوحى النص أن على المسلمين أن يتعلموا القرآن  
والسنة . وهذه من معاني النص لا شك في ذلك .

لكن النص يوحى بمعنى أعمق في تعلم الكتاب ، ومعنى أعمق  
في تعلم الحكمة . وسوف نعرض لهذا وذاك بعد العرض للمعنى  
الأول ، والله المستعان .

### أولا - تعلم القرآن والسنة :

لا شك أن تعلم القرآن واجب ، وكذلك تعلم السنة . خاصة  
ما كان متعلقا منهما بالمعلوم من الدين بالضرورة الذي لا ييسع مسلما  
جهله أو الاحتجاج بجهله .

ذاك قدر لازم وواجب - في مجال التربية .



ومن ثم فعلى واضعى المناهج فى التعليم ، وعلى واضعى برامج الاعلام أن يراعوا ذلك ودراسة هذا وذلك أولى بلا شك من مناهج فاسدة أو غير مفيدة ، وأولى كذلك من برامج تأفهة وأخرى تشيع الفاحشة وتدعو إليها بين الناس •

وإذا لم يتح هذا الأمر فى تعليمنا أو فى اعلامنا ، فعلى القائمين على أمر الدعوة الاسلامية أن يتيحوا لأعضائهم أولاً - ثم للناس كافة - أن يتعلموا الكتاب والسنة وواجبهم فى ذلك كبير وأكد •

وأحسب أن المساجد - خاصة تلك التى أفلقت من مخنة التأميم - تقوم على هذا الأمر فى طول العالم الاسلامى وعرضه ، وحتى التى أصابها التأميم تقوم به وإن كان أثره بطريقة « وظيفية » أقل كفاءة مما يؤديه المتطوعون •

\*\*\*

### ثانياً - علم الكتاب :

علم الكتاب هنا شئ غير تعلم الكتاب أو تعلم القرآن •

انه مرحلة عليا لا يستطيعها كل مسلم ، وينبغي أن يحاول البعض وأن يساعدهم من سبقوهم للبلوغ إليها •

نلمح ذلك من خلال ما حكته سورة النمل عن : « الذى عنده علم من الكتاب » فقد استطاع ما لم يستطعه عفریت من الجن فقه قال الأخير : « أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » وقال الأول : « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » (١٥٧) •

---

(١٥٧) النمل : ٣٩ ، ٤٠ •

ولعل هذا المستوى هو الذى تشير اليه الآية الكريمة .  
 « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم » (١٥٨) .  
 ضد الذين لا يجعلون الوقف لازما بعد لفظ الجلالة ... فيكون المعنى  
 أن الراسخين فى العلم يعلمون بعد الله تأويله ( أى تأويل المتشابه ) .  
 كذلك قد يؤكدما قول الله تعالى : « وأوردوه الى الرسول وإلى  
 أولى الأمر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم » (١٥٩) ، فلعل هؤلاء  
 هم الراسخون فى العلم أو هم الذين أوتوا علم الكتاب .  
 كذلك قول الله تعالى « فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة أينفقهم »  
 فى الدين ولينفروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحفرون » (١٦٠) .  
 هذه الطائفة التى أمر الله أن تنفرد للتحقق فى الدين رغم حالة  
 للحرب ، هى المعنية بالنصوص السابقة ، وبغيرها من مثل قول  
 رسول الله ﷺ « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » .  
 ومن ثم وجب فى مجال التربية اعداد هذه الطائفة على نحو  
 واضح .

\*\*\*

ثالثا - تعلم الحكمة :

لابد لهذه الطائفة « المختارة » من أن تتعلم الحكمة كذلك ..  
 فما الحكمة ؟

(١٥٩) النساء : ٨٣

(١٥٨) آل عمران : ٧

(١٦٠) التوبة : ١٢٢

الحكمة لغة : هي العدل ، والعلم ، والحلم ، والنبوة ، والقرآن ،  
والانجيل (١٦١) .

وهي كذلك : الاتقان : أحكم الأمر : أتقنه ، وأحكمته التجارب  
نصار حكيما (١٦٢) .

وهي كذلك اصابة الحق بالعلم والعمل .

وهي ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب (١٦٣) .

وقد ترد بمعنى النبوة والرسالة «وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ» (١٦٤)

« وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابَ » (١٦٥) .

والحكمة شرعا : هي الاصابة في القول والعمل معا (١٦٦) .

ووضع كل شيء في موضعه (١٦٧) .

وقد ترد بمعنى السنة ، أو القرآن ، أو النبوة (١٦٨) .

---

(١٦١) الأقاموس المحيط ج ٤ ص ٥٨ طبعة ثانية .

(١٦٢) لسان العرب ج ١٢ ص ١٤٠ بتصرف .

(١٦٣) تاج العروس ج ٨ ص ٢٥٣ .

(١٦٤) البقرة : ٢٥١ (١٦٥) سورة ص : ٢٠

(١٦٦) الطبري ج ٣ ص ٦٠ ، الرازي ج ٤ ص ٧٣

(١٦٧) ابن كثير ج ١ ص ١٨٤ - روح المعاني للآلوسي ج ١

ص ٣٨٧ .

(١٦٨) الطبري وابن كثير والآلوسي والنسفي ، الأولى سبقت ،

والأخيرة ج ٢ ص ١٦٦

وقد ذكر البعض فيها ٢٩ مقالا بمعان متقاربة . وذكر ابن كثير أن المسيح : أن الحكمة لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها . ونحن نجمع بين المعنيين اللغوي والشرعي لنقول : اننا نحسب المقصود بالحكمة في النص الكريم هو العلم والحلم والانتقان والحكمة التي تولدها التجارب واصابة الحق عاما وعملا ، والاصابة في القول والعمل ، ووضع كل شيء في موضعه .

ومن ثم يكون واجبا في مجال التربية البلوغ بطائفة معينة الى مستوى الحكمة : «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا» (١٦٩) ومن أمثلة الحكمة تصرف سليمان عليه السلام بالنسبة للمراتين اللتين تنازعتا طفلا . فقد قال : آتوني بالسكين أشقه بينكما . فقالت احدهما : لا ، يرحمك الله هو للأخرى ، فأعطاه لمن قالت ذلك . ومن أمثلة كثيرة في حياة رسول الله ﷺ تصرفه مع حاطب بن أبي بلتعة الذي أخبر كفار مكة بقدوم الرسول ﷺ عليهم وتصرفه مع أبي بن سلول عندما قال : « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » (١٧٠)، وتصرفه مع الذي جاءه يقول : أريد أن أزنى يارسول الله ، فما غضب ولا نهر بل قال : أترضاه لأمك ، أترضاه لأختك ، وقوله ﷺ للسعدين عند غزوة الأحزاب بعد ما سمع نقض بنى قريظة لعهدهم : « ان كان حقا فآلحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاء الناس ، وان كانوا على الوفاء فأجهروا به » .

\*\*\*